صفحات مطوية

من مخطوطات خزانة كتبي كتاب « في فضل الجهاد وما يجب مراعاته على الملوك والعلماء وغيرهم » تأليف محمد بن احمد بن محمد المجاور بمكة المشرّفة سابقاً كما يقول وسأتولى وصف هذا الكتاب الذي لم يذكر المؤلف تاريخ وضعه وجمعه كما أن الناسخ لم يشر الى تاريخ نسخه .

ويظهر ان هذه النسخة كانت لمحمد الدمشقي الحسني الشهير بابن العطار فقد كتب بآخر صفحات الكتاب بخطّ يده ما يلي : « صورة كتاب وكلتُ فيه رجلاً من غزّة بافتاء الشافعية فيها عن ولدنا السيد محمد نجيب لغيابه في مصر . وقد كان الموكل قبل ذلك مفتياً فأكثر من ردّ المطلقات ثلاثاً بحيل شتى فلما بلغني طلبتها لولدي المذكور ووكلت فيها رجلاً أصلح من المفتي الأول فتوجه الأول الى الشام ونزل في بيت مفتيها جناب السيدخليل افندي المرادي فحرّر لي جناب المذكوريرجو توكيل الرجل فكتبت له ما صورته :

جناب عمدة الأفاضل الكرام اخونا الشيخ صالح النخالة سلمه الله تعالى وأبقاه

غب التحيات والتسليم بمزيد أنواع العزّ والتكريم نبدي انه اذناً لك بأن تكون وكيلاً عن ولدنا السيد محمد نجيب في افتاء السادة الشافعية في غزّة المحمية بشرط ان لا تفتي بأن الطلاق الصريح يحتاج الى النية ولا بأن الفعل المضارع لا يقع به الطلاق للحال ولا بأن الاستثناء بالقلب يكفي ولا بأن المرأة التي لا تصلي لا يقع طلاقها المعلق بصحة ايمانها اذ المسألة الأولى تغيرت بعرف الزمان والمكان وعلى العرف مبنى الطلاق والايمان ولا يخطر الآن بخاطر احدٍ قال لزوجته انت طالق الا طلاق من الوفاق الا ان كان يكون من العلماء عارفاً بالمسألة وقليل ماهم سيما في بلادكم .

وما يدين فيه الحالف عند المفتي لا يقضي به القاضي وليس للمفتي ان يأذن للقاضي بأن يقضي بما أفتى فيه بالديانة ولو قضى به القاضي لا ينفذ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وأما المسألة الثانية : فالحق ان الفعل المضارع في صيغة تكوني او تروحي طالقاً يقع به الطلاق في الحال للعرف لأن اهل دياركم كما شاهدتهم لا يعرفون من صيغ الطلاق غير تلك الصيغة ولو كلف من أراد طلاق زوجته الى ان يقول لها انت طالق لا يجري ذلك على لسانه ولا يقول الا تكوني طالقاً كما وقع ذلك عندي غير مرة حين ابتليت بقضاء دياركم ثم بافتائها . وأيضاً القرينة تمحض المضارع هنا للحال وهي قوله طالق اي مطلقة فهو اسم مفعول وحقيقته الاطلاق على من وقع عليه الفعل في الحال . وما أفتى به المرحوم العلامة خير الدين الرملي من ان تروحي فعل مضارع ولا يقع به الطلاق في الحال بناء على ما قاله الكمال ابن الهمام رحمه الله تعالى فهو سهو لأن مراد المحقق ابن الهمام بالمضارع الذي لا يقع به الطلاق للحال المضارع المصوغ من مادة الطلاق كما اذا قال لها اطلقك والفرق بين الصورتين كالفرق بين الصيغتين ظاهر لا يحتاج الى تأمل . ومع ذلك فالقرينة التي ذكرناها غير موجودة في هذه الصورة بخلاف الصورة الأخرى . وما ذكره عمدة السادة الشافعية العلامة الرملي في فتاواه من هذه المسألة فهو محمول على ما قبل اشتهار العرف وأيضاً يضعفه تمحض المضارع للحال بالقرينة المذكورة .

وأما المسألة الثالثة : فان الاحكام في هذا المقام تدور على الكلام . والكلام اذا لم يكن مسموعاً لا عبرة به . وأيضاً لا تعتبر النية في الطلاق والايمان الا اذا احتملها اللفظ .

واما المسألة الرابعة : فقد رأيت من أفتى بها في دياركم فأوقع نساء تلك البلاد فيما اعتقدن وبقرب من الكفر وذلك انهن اعتقدن بأن من تصلي تكون الصلاة سبباً لصحة وقوع طلاقها المعلق بابرائها ومن لا فلا . وهذا اعتقاد وخيم وقبيح جسيم ينبغي الحذر منه ويجب على المفتي مراعاة الزمان والمكان والاشخاص . وقد نبه الفقهاء العظام على مثل هذا المرام في المعتبرات من كتب الاحكام فليكن لك ذلك الاعتماد والسلام » . اهـ

وأضاف الى الصورة المذكورة ما يأتي :

سئلت في اسلامبول عن حكمة اختصاص الصديق رضي الله تعالى عنه بالاستصحاب

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

في سفر الهجرة دون سائر الصحابة رضي الله عنهم فأجبتُ : الحمد للهم الصواب . لما كان الصديق رضي الله تعالى عنه أفضل الصحابة رضي الله تعالى عنهم بسبب ما وقر في صدره الشريف بدلالة معنى ما ورد في ذلك والأمر الذي وقر في صدره رضي الله تعالى عنه انما هو المعرفة الإلهية التي رجح بها ايمانه على ايمان أهل الأرض وكسبه رضي الله عنه تلك المعرفة الفاضلة عن معرفة غيره من الصحابة رضي الله عنهم انما كان بسيره الى الله تعالى من طريق الخفاء وذلك باستعمال الذكر الخفي ومشاهدته بالبصيرة تجليات الحق تعالى في الظاهر ومشاهدة البصيرة أمر خفي عن الحواس الظاهرة وعن جميع الناس والانبياء عليهم الصلاة والسلام بدأ لسيرهم الى الله تعالى من حيث الباطن وكثيراً الى الخلق من حيث الظاهر والنبي صلى الله عليه وسلم لما اراد السير مهاجراً من مكة المشرفة الى المدينة المنورة على طريق الاختفاء ناسب استصحاب من كان سيره الى الله تعالى من طريق الخفاء ليتطابق المسيران ويتوافق الرفيقان ولهذا كان اختفاؤهما في الغار عن أعين المشركين في باطن الغار اشارة الى ذلك التطابق واطلاع سراقة [1] رضي الله تعالى عنه عليهما دون غيره فلخاصة في اسمه اذ هو مأخوذ من السرقة والخفية من مفهومها فبذلك انكشف له اختفاء النبي صلى الله عليه وسلم وصاحبه رضي الله تعالى عنه فتأمل بهذا السر العجيب والأمر الغريب تعقيباً والله أعلم . وكتبه الفقير الى عفو ربه الستار محمد الدمشقي الحسيني ابن العطار خادم الكعبة والآثار .

ويظهر من صورة الكتاب المحرر بعاليه والتعليق الذي أضيف اليه انّ الشيخ محمداً العطار من علماء دمشق المعروفين وانه ولي القضاء والافتاء في فلسطين حين كانت تابعة لولاية الشام او سورية باصطلاح العثمانيين . الا ان المرادي الذي كتب الى العطار يطلب منه توكيل الشيخ صالح النخالة بافتاء غزة لم يترجم له في كتابه سلك الدرر في اعيان القرن الثاني عشر . وقد يرد على البال او يخطر بالخاطر ان يكون العطار قد عاش بقية القرن الثاني عشر ودخل في الثالث عشر فلم يترجم له المرادي الا

(١) سراقة بن مالك بن جعشم بن مالك بن عمرو بن كنانة المدلجي هو الذي تتبع اثر الرسول ليدل عليه ويأخذ الدية من قريش ثم تركه بعدما ادركه .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ان العطار قد توفي في ٣ شعبان سنة ١١٧٦ كما دوّن ذلك حفيده محمد العطار في تعاليقه على رحلته الموسومة برحلة العطار الشامي الذي ابتدأها في ٣ صفر سنة ١١٧٩ هـ من بيت المقدس وقصد الى استانبول عاصمة الملك العثماني فقد قال في بعض تعليقاته « انتقل الى رحمة الله تعالى السيد الشيخ محمد العطار جدّ الفقير في ٣ شعبان سنة ١١٧٦ » . اهـ ووجود صفة السيد في كلام الحفيد تثبت ان الجدّ من الاشراف كما وقع بذيل تعليقاته .

ومما يستغرب حقاً ان يهمل المرادي شأن محمد العطار الجدّ فلا يترجم له ثم يشير الى محمد العطار الحفيد في ترجمته للشيخ عبد الوهاب تلميذ الشيخ عبد الغني النابلسي الذي كان يقيم في مدرسة جور ليلي علي باشا بالاستانة حيث قال : [1] ان أبناء دمشق كانوا يجتمعون عنده على مذاكرة ومداعبة وجاء في سياق ذلك اسم السيد محمد العطار الدمشقي بمناسبة لغز كتبه هذا وأرسله الى الشيخ ابراهيم الحلبي [2] فأجابه عبد الوهاب بقصيدة جاء في أولها :

أيا فاضلاً حاز البراعة بالقلب ... وصاغ فنوناً في البلاغة كالقلب
وفاق بنظم الشعر سحبان وائل ... وقسّ أيادٍ في القريض على القرب
نظمت عقود الدر في سمط رقة ... وقلدتها جيد الخرائد من عرب
ولا عجب اذ أنت في الفضل سيدٌ ... كجدّك ذي التحقيق في الشرق والغرب
أتيت بلاد الروم ضيفاً وطارقاً ... من الشام من أرضٍ مقدّسة الترب

الى آخر القصيدة .

لذلك نرجح ان المرادي أراد اغفال ترجمة العطار قصداً بسبب المنافسة ذلك الداء الوبيل الذي يتفشى عادة بين الأقران في كل زمان ومكان رحمة الله تعالى عليهم جميعاً .

عمر الله مخلص

(١) سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر جزء ٤ صفحة ١٦٤ وفيه ان الشيخ ابراهيم الحلبي شرح ذلك اللغز وهو في (حير) في رسالة (٢) ترجمة الشيخ ابراهيم المذكور في سلك الدرر ج ١ ص ٣٧ — ٣٩ وفيها انه من العلماء المحققين .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net